جـــدلية الغُـــربة وتداعيـــاتها النفسيـــة والمكانيـــة عنـــد الشاعر صدام فهد طاهر شريف الاسدي

خلدون كاظم هاشم الموسوي
Khaldoonal7@gmail.com
جامعـة الأديـــان والمـــذاهب / إيـــران
أ.د.علي رضا محمد رضائي
amredhaei@ut.ac.ir
جامعة طهران / إيران
أ.م.د.حسن رحماني راد
جامعة طهران / إيران

الملخص

البحث دراسة وتحليل وشرح وتفصيل ونقد لحياة الشاعر وقصائده الشعرية ودراسة أهم أسباب الغربة والاغتراب النفسي والمكاني عند الشاعر صدام صدام الاسدي ، والغربة تلعب دورا كبيرا ومميزا ومؤثرا على نفسية الشاعر القلقة الحزينة والغير مستقرة بسبب الكثير من الظروف التي مرت على الشاعر وبسبب ما لحقه من ظلم وقهر وألم وسجن ومحاربة ومطاردة بسبب مواقفه الوطنية الشريفة ، فالبحث من بدايته إلى نهايته دراسة وتحليل ونقد لظاهرة الغربة بكل ما تحمله في طياتها من معاني لنصل بعد ذلك إلى خاتمة مهمة أن حياة الشاعر والظروف التي مر مرت عليه كانت لها آثار وسبب مهم في شيوع ظاهرة الغربة على دووانه الشعرية .

The dialectic of alienation and its psychological and spatial repercussions according to the poet Saddam Fahd Taher Sharif Al-Asadi

Khaldoun Kazem Hashem Al-Mousawi
Khaldoonal7@gmail.com
University of Religions and Sects / Iran
Professor Dr. Ali Reda Muhammad Rezaei
University of Tehran/Iran
Assistant Professor Dr. Hassan Rahmani Rad
University of Tehran/Iran

Abstract

The research is a study, analysis, explanation, detail, and criticism of the poet's life and his poetic poems, and a study of the most important causes of alienation and psychological and spatial alienation for the poet Saddam Fahd Al-Asadi. Alienation plays a large, distinctive, and influential role on the poet's anxious, sad, and unstable psyche because of many of the circumstances that the poet experienced and because of the injustice and oppression that befell him. Pain and imprisonment And fighting and persecution because of his honorable patriotic stances. The research, from beginning to end, is a study, analysis and criticism of the phenomenon of alienation with all the meanings it carries within it. Then we reach an important conclusion that the life of the poet and the circumstances that he went through had effects and an important reason for the spread of the phenomenon of alienation in his collections of poetry.

المقدمـة

يشغل الشاعر صدام فهد طاهر شريف الاسدي حيزا كبيرا ومهما في الأوساط الأكاديمية والأدبية وهو إضافة إلى أنه شاعر وناقد وكاتب وقاص ومسرحي فهو بروفيسور في الادب العربي المعاصر وهو أستاذ الأدب الحديث في جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

البحث يتناول جدلية الغربة وأهم أسبابها عند الشاعر صدام صدام الاسدي ، وهو بحث استلال من أطروحة الدكتوراه للباحث : (جدليـة العـام والخـاص في شعر صدام فهد طاهر شريف الاسدي دراسة نقدية نفسية)

البحث دراسة وتحليل وشرح وتفصيل لأهم الأسباب التي جعلت الشاعر غريب متمرد والبحث دراسة معمقة للحالة النفسية وأثرها على الشاعر ومدى تأثيرها وانعكاساتها عليه ، والتعريف بالغربة والاغتراب بمفهومها اللغوي الاصطلاحي لنصل إلى دراسة وتحليل لشعر الشاعر وأهم القصائد الشعرية التي وردت فيها الغربة وكان لها وقع وأثر على المتلقي ونصل بعدها إلى أهم والنتائج وأهم المصادر والمراجع في دراسة البحث

ولابد من الإشارة أن البحث درس حياة الشاعر وشعره بكل تفاصيلها من ناحية الغربة النفسية وأثرها على الشاعر نفسه ودراسة أهم أنواع الغربة وأهم غربة مرت على الشاعر هلى غربته مع أسمه التي كان لها أثر وألم ووقع عليه إضافة إلى الدراسة مدار البحث وأهمها وأهميتها على الدراسات الأكاديمية التخصصية .

علما فقد وجدنا العديد من البحوث العلمية المنشورة في مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية لنفس الغرض أعلاه ، وهي متنوعة من ناحية المسميات نذكر أهمها :

1- بحث علمي تخصصي بعنوان / الضغط النفسي وعلاقته بالعزلة الاجتماعية ، الطلبة النازحين إنموذجا للباحث عدنان غازي محمود ، المجلد 61 ، العدد الثالث لسنة 2022م أيلول
وأهم ما تناوله البحث من موضوعات هي / الإجهاد النفسي ، والاغتراب الاجتماعي

2- بحث علمي تخصص بعنوان / تجليات الألم في الشعر العربي الحديث دراسة موضوعية للباحث حامد صالح جاسم ، المجلد 60 ، العدد الثالث لسنة 2021م أيلول

3- بحث علمي تخصصي بعنوان / الشكوى في شعر أبي إسحاق الغزي للباحث الحمود نجية فايز المجلد 58 ، العدد الثاني لسنة 2019م ، وكانت أهم موضوعات البحث / تناول أهم شعراء الشكوى العرب

أولا: مفهوم الغربة :

تظهر كلمة الغربة على أوجه الغلاف الشعري بالكثير من قصائد الشاعر صدام ألأسدي فتتحول الغُربة من مجرد إحساسٍ في صدر ونفس الشاعر يكمن بخلجات الشاعر ونفسه القلقة بل وإنما يتحول إلى حالةٍ عامةٍ يشاركها مع الكل كنافذة زجاجية يطل الشاعر من خلفها.

ولعل هذه النافذة (التعبير عن الغربة والوحشة والحزن) ، هي وسيلة الشاعر للتخفيف من الشعور بالوحدة والغربة والحزن الذي يمر به فتكون تلك النافذة في الواقع بمثابة الهروب بين عالمين مختلفين ومتضادين تماماً.

العالم الأول خارج نافذة الشاعر تماماً ولا تمتُ لما يريدهُ ويتمناه بصلة والعالم الثاني داخل تلك النافذة والقصيدة ، فكأن الشاعر صدام ألأسدي يراقب من خلف نافذته ما يدور في عالمه ووطنه ويعبر من خلال تلك النافذة وهذا الأسلوب يعبر به عن غربته ويتأمل عميقاً بالذات الحائرة في داخله هو.

فهذا التضاد البديع الذي خلقهُ الشاعر بين ألأسدي الذي يرغب في العيش في هذا العراق الأمن والمنعم والمترف والذي يتغنى وينشد ويتغزل بالأشجار والأنهار وطيبات العيش وبين الأخر(خارج النافذة) ، في أرض الواقع بين المذابح والجثث (كما عبر هو بنفسه في ديوانه) فهذا التضاد المبهر والبديع شكل لنا حواريات (جدلية) ، تطرح أسئلة كان يجب أن يجد لها وعنها جواباً ، فلما لم يجد ذاك الجواب عن القضايا التي تؤرقه وتغوص عميقاً في داخله لتبين لنا علاقته بما حوله كالوطن والإنسان والكون والوجود

والحب والموت والشوق والغياب والغربة والوحدة والمنفى. (ابن منظور , 1990 : ص 196) (Ibn Manzur, 1990: p. 196) ,

وذلك كله بسبب الغربة النفسية والإحساس الذي يمر به الشاعر فلا يجد لها أجوبة تشفي حيرته وتساؤلات روحه الحائرة إلا في عالم الشعر بأسلوبه الفني المميز بالتكييف والاختزال واقتناص اللحظة الزمنية بلغة شاعرية متميزة أنيقة يمتزج فيها الواقع المعاش وتتأمل في الكون ومعانيه الإنسانية وهنا نعرج على شعر صدام الاسدي لنرى صورة الغربة والحزن والإحساس بالوحدة والعزلة وهو في داخل بلده حيث سنركز على قصائده التي فاحت منها رائحة الإحساس بالغربة

والوحدة والعزلة والابتعاد عن الأهل والولد والأقارب وعن الأحبة والاهم عن الديار . ظاهرة الغربة والحزن والإحساس بالعزلة والوحدة تراود الكثير من الشعراء والأدباء والمفكرين والعلماء نتيجة للواقع المؤلم والظروف التي يعيشوها ويحسوا بها ويتأثروا فيها ومنهم الأستاذ الدكتور الشاعر صدام الاسدي والباحث في هذا البحث يسلط الضوء على هذه الشخصية الفذة فهو كونه أكاديميا متخصصا في الأدب العربي الحديث / الشعر الحديث ، إلا أنه من الشعراء الكبار في العراق عامة وفي البصرة خاصة ، ومعروف بمواقفه وشعره ، والباحث بعد البحث الحثيث والغوص في تفاصيل حياة هذه الشخصية وتشريح ديوانه الشعري سنستعرض أهم مراحل الغربة لدى الشاعر الاسدي وما تأثيرها على حياته وشعره .

مفهوم الغُربة في اللغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (غ، ر، ب)"وغرب وأغرب وغرّبه: أي نحاه، والتغرب: البعد وغرّبه وغرب عليه: تركه بعيدًا.

الغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب.

وأيضا منه غريب الدار، غروب الشمس(ابن منظور , 1990 : ص 196)(Ibn Manzur, 1990: p. 196)

والغُربة بضم الغين تعني النوى والبعد أي طالت غربته بمعنى طال بعده عن وطنه وأهله و عاش زمنا طويلا في الغربة في بلاد النزوح والهجرة والعزلة والوحدة ، ويقال فقد الأحبة غربة أي من فقد أحبته صار كالغريب بين الناس وإن لم يفارق وطنه ويترك أهله. (الازوردي , 1997 : ص 119) , (Al-Azordi, 1997: p. 119)

مفهوم الغُربة اصطلاحًا :

أما مفهوم الغربة اصطلاحا فهي عاطفة جياشة تستولي على المرء وبخاصة الفنانين الذين يعيشون في قلق وفي حزن وألم بسبب البعد عن كل ما يحبونه ويهوونه (عبد النور , 2010:ص156)، وإن الإنسان أصبح صورة من القلق والحرمان والعناء النفسي حيث يشعر بالعجز والضعف في مواجهة الواقع ولم يعد باستطاعته أن يتخذ قرار حاسم يمكنه الدفاع عن نفسه. (ابراهيم , 1988: ص 14)

فالغربة إذا هي البعد عن الوطن والأهل وغالبا ما تشير الى المشاعر الحزينة والسلبية المرافقة للانقطاع عن الأهل والأحبة وقد يغترب الإنسان من اجل الدراسة أو إيجاد لقمة العيش أو من اجل الربح المادي كالوصول إلى مستوى معيشي مرموق على حساب تغربهُ بين البلدان أو قد تكون غربة قسرية إجبارية بسبب الحروب وانعدام الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي .

وإذا مزجنا المفهوم اللغوي مع الاصطلاحي نخرج بمفهوم عام وشامل لمعنى الغربة ألا وهو الابتعاد عن الوطن والديار والأهل والأحبة وهو شعور يراود الفنان والشاعر والأديب أينما حل وارتحل بحيث يصبح العالم كله سجن بالنسبة اليه ¨

وإذا أردنا البحث بشكل موسع عن مفهوم الغربة في العصر الحديث أو لمن فهموا الغربة فنراها مرة تسمى الاعتزال ومرة التذمر والعداء ومرة (ابراهيم , 1988 : ص 14) , ((Ibrahim, 1988: p. 14 الانفصال والنفور والانزعاج والعجز عن التلاؤم والإخفاق وعدم التكيف مع الأوضاع السائدة بسبب الظروف التي تعيشها اغلب وأكثر البلدان (الخشرم , 1982:ص 5) , (Al-Khashram, 1982: p. 5)

وقد نظر كل فيلسوف من الفلاسفة لمفهوم الغربة والاغتراب من وجهة نظره منهم من يقصد بالغربة الاغتراب الاجتماعي أو النفسي أو ألزماني أو المكاني .

يقول ماركس: "في الاغتراب العملية التي يتحول فيها الإنسان إلى حالة تشيؤ، حيث يستبعد من خلال العمل ويصبح بقوة عمله سلعة تباع في الأسواق
شاع مصطلح الغربة -قديما- لدى النقاد العرب متخذا الاتجاه الديني وفقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء "
أما جرودون فيرى أن الاغتراب هو"الحالة التي لا يشعر فيها الفرد بالانتماء إلى المجتمع أو الأمة حيث العلاقات الشخصية غير ثابتة وغير مرضية ، كان الفرد في الماضي يرى نفسه عضوا في عائلة أو جماعة أو حزب أو طائفة ، أما الألوان فكان يرى نفسه مستقلا ومنفصلا".
تناول المستشرق الألماني شاخت الاغتراب بمعنيين أساسيين هما الاغتراب هو الانفصال أي فقدان الوحدة مع البنية الاجتماعي ، والثاني الاغتراب عن الذات أي الاغتراب بالتسليم

مفهوم الغربة في الإسلام :

هناك فرق بين الغربة والاغتراب فقد تناولنا الغربة في السطور السابقة أما الاغتراب فلم يرد في معاجم اللغة العربية لذا يمكننا القول بأنه مصطلح حديث فهو يعني شعور نفسي داخلي وهو أعمق وأشمل وأوسع من الغربة، فالغربة تقتصر على البعد الجسدي، بينما الاغتراب يشمل عدة مستويات منها: (غربة روحية ، غربة تأملية ، غربة جسدية ، غربة فكرية ، غربة نفسية) .
ويمكننا القول أيضا بأن الاغتراب هو "اضطراب نفسي ينشأ من نبرات الشاعر التي يمر بها مع نفسه ومع الآخرين ولا تتصف بالتواصل والرضا ويصاحبها العزلة والإحساس بالتمرد والرفض والتشاؤم مما يؤدي به إلى الاستسلام والبعد عن الأهل والأوطان".
فمن الممكن أن تعيش اغترابا في بلدك وقد تعيشه مغتربا بعيدا عن وطنك، وأشدها على الإنسان الذي يعيش في بلده .
أنواع الاغتراب:

1. الاغتراب النفسي: وهو يتمثل فيما يعانيه الشخص من اضطرابات عقلية ونفسية أو إحساسه بفتور في معاملاته مع الآخرين مما يشعره وكأنه غريبا حتى وإن كان في وطنه. (ابن منظور,1990 : ص 170)(Ibn Manzur, 1990: p. 170) ,
2. الاغتراب ألزماني: وهو شعور الفرد بحاجته إلى الفرار من بيئته التي يعيش فيها إلى بيئة أخرى تكون متنفسا له وعوضا عن بيته الذي لم يعد يتحمله.
3. الاغتراب السياسي: ويتمثل في تعرض الإنسان لضغوطات وأبعادا سياسية مثل الحرمان من السلطة وغياب المعايير وغياب القيم وغياب روح الحياة والشعور بالغربة عن الذات.
4. الاغتراب الفكري : أن يشعر الشخص المغترب فكريا أن أفكاره وتوجهاته مختلفة تماما عمن حوله.
5. الاغتراب الاجتماعي : يرد الشخص المغترب اجتماعيا البعد عن قوانين المجتمع ومحاولة إسقاطها وفقا لرؤيته السلبية أو الثورية التي تهدف للتغيير.
6. الاغتراب المكاني : أن يكون الفرد المغترب يعاني الشتات أو الغربة في وطنه.

تناول الكثير من الأدباء والشعراء -قديما وحديثا- ظاهرة الغربة بشكلٍ عام نظرا للواقع المؤلم الذي يعيشونه ويتأثرون به ويعكس حالة الصراع النفسي التي يعيشها الشاعر وما يعانيه ومن هؤلاء الشعراء على سبيل المثال :

- الشاعر كعب بن زهير

عانى الشاعر كعب بن زهير من الاغتراب النفسي والروحي وأيضا الانفصال عن القيم الروحية والأخلاقية فقال في قصيدته الشهيرة (البردة) :

يا وَيحها خُلةً لو أنها صدقت
موعودها أو لو أن النصح مقبولُ
لكنها خلةٌ قد سيط من دمها

فجـعٌ وولـعٌ وإخـلافٌ وتبديــلُ
وقولهُ أيضا:
فلا يغرنك ما منّت وما وعَـدت
إن الأمـاني والأحـلام تضليلُ

- الشاعر المتنبي :

كان الشاعر المتنبي يشعر بالاغتراب النفسي مُنذ أن كان صغيرا بعد وفاة والديه ولما كبر شعر بالغُربة الزمانية فقد ذاق مرارة الوحشة والغربة حيث نراه يقول في بعض قصائده :

أنا في أممٍ تداركها الله غريبٌ كصالح في ثمودِ

هنا يشبه الشاعر المتنبي نفسه وما يعانيه من اغتراب في قومهِ فلا توافق بينه وبينهم بغربة سيدنا صالح عليه السلام في قومه وهذه الغربة من أقسى وألم على الإنسان الذي يعيش بين قومه وعشيرته وهو يحس أنه غريبب وحيد بينهم .

ومن أمثلة حالة الاغتراب النفسي والفكري الذي سيطر على الشاعر صدام صدام الاسدي قوله:

سأرويك من صمتي ولا شيء أترك وأفطر من صومي وما كنت أمسك
وأمشي إلى قبري فلا الموت يبتلي وينشلني بحـر مـن الوهم هـالك (الاسدي , 2006 :ص81-283)(Al-Asadi, 2006: p. 81-283)

ومن خلال هذا العرض الموجز حول الاغتراب لدى الشعراء قديما فإن ذلك يسوقنا إلى عرض ظاهرة الغربة والاغتراب لدى شاعرنا صدام صدام الاسدي الذي كان له أثرا كبيرا انعكس علي شعره فنجد أن حزنه عميقاً ولديه إحساس بالوحدة أعمق وهذا يتجلى بوضوح في قصائده حيث صورها بلغة عذبة بسيطة وواضحة تمتاز بصدق المشاعر والأحاسيس فيشعر القارئ بمدى إحساسه بالوحدة والعزلة والألم والحزن فيشفق علي حاله وما ألمَّ به.

عاني الشاعر صدام الاسدي كثيرا من الاغتراب النفسي وكان له وقع وتأثير كبير عليه فيقول :

يا غربةُ الروح بل يا غربة البدن
كيف الخلاص لنا من محنة الزمن
صبرت خمسين عاما حاملا كفني
والروح ما مرة مرت علي سكني (الاسدي , 2006 :ص 15)(Al-Asadi, 2006: p. 15)

فالشاعر لم يغترب بعيدا عن وطنه لكنه عاش أكثر من معاناة وغربة داخل وطنه حيث عاش خمسين سنة في اغترابٍ.

إن الاغتراب ظاهرة نفسية تتضح جليا في قصائد شعره ويمكن تقسيمها الى أربع أقسام هي :

1. اغتراب الشاعر مع اسمه :

كان اسم الشاعر"صدام" سببا كبيرا في معاناته وحزنه وألمه نظرا لأنه يشبه اسم الرئيس العراقي السابق"صدام حسين" حيث حرم الشاعر من المشاركة في الكثير من المهرجانات العربية التي تقام في العراق أو خارجها فيقول الشاعر متألما لحاله

جريمتي أن أبي يختار اسمي هكذا في مطلع الخمسين
صدام سماني أبي وكم أعاني اليوم منه أدخل الستين
في وقت صدام أعاني من معاثر الظلام
كم شطبوا اسمي من المربد والإعلام (الاسدي , 2006:ص273- 274)(Al-Asadi, 2006: p. 273-274)

يرى الشاعر صدام صدام الاسدي أن اختيار والده اسمه "صدام" كان بمثابة جريمة بحقه عاني منها الكثير والكثير حيث حُرم من المشاركة في الإعلام والمربد الشعري والمهرجانات العربية وحتى المؤتمرات الأكاديمية والعلمية والشعرية كان يُحرم منها بسبب أسمه . وكذلك قوله:

الحلم روحي بين الخوف وبين الصحو
وبين الصمت من الأيام

أكبر جرم قدمت إلى عائلتي
أسمي محذوف من صحف الأوهام
وقوله أيضًا:
أنت البائس يا حظي
من سماك بهذا الاسم
رويدا كيف عبرت من السجل المدني عام الخمسين
زمن القحط وجوع الناس
ووحدك ترفل في ثوب الأرقام

2. اغتراب الشاعر في السجن :

سُجن الشاعر صدام صدام الاسدي على يد النظام البائد وتعرض للتعسف والتنكيل به لنظمه العديد من قصائد مدح ورثاء أهل البيت حيث عرف عنه شاعر أهل البيت لذا سُجن الشاعر أكثر من مرة منها 1972 م في سجن التنومة وسجن عام 1979 م في سجن ابو غريب ، ليس هذا فحسب بل تعرض للحرمان من بعض حقوقه كالتقديم على الدراسات العليا لمدة اثني عشر عاما بعد حصوله على شهادة البكالوريوس وإصدار الأوامر بنقله من عمله من مكان لآخر ، وقد ظلم ظلما كبيرا أثر عليه كثيراً وهو لم يتنازل عن مبدئه وعن نظم الشعر وكتابته والدفاع عن قضيته الحقه

قصيدة (الشوك المُدمي) :

كتب الشاعر صدام الاسدي قصيدة (الشوك المُدمي) عن سجنه وما تعرض له من ظلم وألم بسبب مواقفه الوطنية والدفاع عن أهله وشعبه ورفضه لكل أنواع الظلم الذي لحق بالناس فيقول:(الاسدي , 2006 :ص 233)

(Al-Asadi, 2006: p. 233)

ما أطيب العيش الذي أشعل فيه شمعتي
ولن أخاف السجن والحذر؟
يا ليتني حجر؟
تمر فيه الريح والبروق والخطر؟
احتطب الوقد الذي يلبسني حرارة الشجر؟
مازال غابي تائهاً..
مازلتُ بعد ثورة أُصافح الغجر؟
الظلم مات بائساً؟؟
والخوف بات تائهاً وحلمي انكسر؟
الوعي ظل غائباً وجهلنا انتشر؟
الحال صار زورقاً يسحبه التتر؟
تبقى هُنا الماضي على إسقاطهِ
سقط متاع ليس يُعتبر؟ (الاسدي , 2006 :ص 233)(Al-Asadi, 2006: p. 233)

بالرغم من أن السجن يزيد من عذاب ومرارة الاغتراب وقسوة الأيام والشعور بالذل والمهانة لغلاظة وقسوة السجان ، وغرابة المكان إلا أن الشاعر يؤكد على أنه لن يخاف السجن فيتمنى لوكان حجرا فلا يؤثر فيه شيء لا برق ولا مطر ولا رياح مطلقا، ولا بد من الإشارة أن الغربة تلعب دوراً كبيرا ومؤثرا على حياة الإنسان ولها آثارها النفسية وانعكاساتها كيف وهو شاعر وحساس ومرهف وصاحب مواقف طيبة نبيلة لأنه يحمل رسالة ، وبالمقابل ظلم الحاكم والسجان الذي لا يرحم ولا يحترم بل يتلذذ بإهانة من يقف بوجه ويرفض الظلم والاستبداد والقتل والسجن ومحاربة الناس بسبب الكلمة .

قصيدة (غربة الشاعر) :

يُشير الشاعر صدام الاسدي في قصيدته (غربة الشاعر) حيث يعبر فيها عن غربته ووحدته وتقييده ومنعه من الكلام فيقول:

ولستُ أعُبر حد النطق في شفتي
لو كنتُ انطق فالسّجان يمنعني
لبستُ ثوباً يحيطُ الجسم يسترهُ
لو هبت الريح هذا الثوب يفضحني
ما قلتُ كلا لأن الفقر يذبحني
بل قلتُ كلا لأن المال يكرهني
السجنُ داري فأين اليوم أجنحتي؟
إن طرتُ شبراً فتلك الدار تسجنني (شهاب الدين , 2011:ص 314)(Shihab al-Din, 2011: p. 314)

يُعبر الشاعر صدام الاسدي عن منعه من التفوه بالكلام في إشارة إلى القيود المفروضة عليه في السجن وقسوة السجان ومشيرا إلى فقرهُ ، فالمال ليس له منه نصيب منوهًا إلى ما يعتريه من اغتراب نفسي حتى وإن كان داخل وطنه فهو في سجن كبير، وأكثر ما يؤلم هو أنك تشعر بالغربة والحزن والوحدة والعزلة وأنت تعيش في داخل بلدك وإحساس الوحدة والعزلة يقتل الإنسان وخصوصا إذا كان شاعرا مخلصا للقضية التي يتبناها ويكون صاحب مبدأ وقضية وكلمة حق بوجه الظلم والسلطة وأنه لا يخاف إن وقع على الموت أو وقع الموت عليه لأنه يُناضل ويقاتل من أجل قضية .

أما في قصيدة (أحلام الرجم بالغيب) ، يشكو الشاعر الاغتراب في الماضي والحاضر والمستقبل مؤكدا على قمع الحريات كحرية القلم ، وهو يتساءل عنه هو نفسه ، هل هناك من ينقذه من سيف جلاديه الذين يضيقون الخناق عليه محاولين قمعهِ وإسكاته وهناك من الشعراء مثل الشاعر بدر شاكر السياب ، والجواهري ، وسعدي يوسف ، الذين اغتربوا محاولين إيصال رسالتهم ولكن بلا جدوى حتي ماتت أصواتهم لكن لم تمت أشعارهم ، والذين عاشوا بالعراق ما زالوا يعانون الغربة بأقسى حالاتها ، والاغتراب في وطنهم فيقول الشاعر الاسدي وهو ينعى نفسه المثقلة بالهموم والآهات :

احترق الآن واحترق الأمس واحترق المستقبل
أبحث عن كهف يؤويني من تلك الأزمات
هل من أحد ينقذني من سيف الجلاد ؟؟؟
ويرفع عن قلمي القيد من النكرات ؟
خمسون مرت أكتب شعرا
ما جدوى صوتي وتموت الأصوات
أحسب في ذاكرة الأمس السياب وأبا فرات
أحسب سعديا كيف يغادر وطني والآن يعيش الحسرات
لا أعرف قصة وطني لا أعرف سر النكبات (الاسدي, 2016:ص 314)(Al-Asadi, 2016: p. 314)

قصيدة (الف حجر على جبهة الماء)

كان ومازال الشاعر صدام صدام الاسدي يكره السياسة ويلعنها ويلعن الظالمين الطُغاة منتظرا نهاية الطاغية فيُصبر نفسه وينشد الشعر الذي هو الملجأ الوحيد وملاذه للتعبير عما بداخله من مشاعر وصراعات وألم نفسي واغتراب كما يبين هذا المعنى دانيال جولمان أو جولدمان في كتابه الذكاء العاطفي حيث بين بأن عواطف الإنسان وكل ما يمر به من فرح أو حزن أو انتكاسة أو ظلم أو موقف له تأثير كبير عليه وعلى إبداعاته وكتاباته وخاصة الشعر والشعراء ، ففي أواخر أيام سجنه كتب قصيدة (ألف حجر على جبهة الماء) يقول الشاعر :

لعنتُ السياسة في موطني ، كرهتُ انتمائي لهذا النزيف
ولكني حين سمعتُ نهاية هذا البليد الحقود
تحزمت بالصبرُ حدّ الحروف

تموت العروق إذا يبستها أكف القدر(جولدمان, 1995: ص54)(Goldman, 1995: p. 54).

3. الاغتراب النفسي :

يظهر الاغتراب النفسي بوضوح في قصائد الشاعر صدام الاسدي فلما سُئل عن الغربة أجاب "أنها متجسدة ليس فقط في شعري بل أنا غريب عن نفسي وكأني غير موجود في هذا الزمان الذي أنا فيه الآن " وانعكس هذا الشعور لديه ونجده واضحا في كتاباته الشعرية فكتب قصيدة (غربة الشاعر) قائلا :

قصيدة غربة الشاعر :

يا غربــةُ الروح بل يا غربةُ البدنِ
كيف الخلاص لنا من محنــة الزمنِ؟
صبرتُ خمسين عاماً حاملاً كفني
والروح ما مرة مرت على ســكني
قفزتُ للغيمـة العلياء أســألها
بعض الأمان وجدتُ الخوف في علـنِ
أكافـحُ الفقر أخشى الحال صرخته
كــأنني أسبـق التيار في المحــن
وكـأسُ ليلي به الأحزان قد غرقت
كأنما تغـرق الأحـزان فـي شجـني (الاسدي , 2013: ص63)(Al-Asadi, 2013: p. 63)

إن أقسى أنواع الاغتراب عندما يكون الإنسان مغتربا في وطنه وبين أهله وقد أوضحت هذه الأبيات مدى معاناة الشاعر والصراع النفسي الذي يعيشه وما يعتريه من آلام وغربة وحزن فحق علينا عندما نقول : أن جدلية الغربة وتداعياتها النفسية والمكانية تلعب دورا كبيرا ومهما ومؤثرا في شعر الشاعر .

قصيدة) (صرخة في عنق الزجاجة) :

أطلق الشاعر صدام الاسدي صرخة مدوية يملؤها الشجن والأسى والحُزن معبراً عنها في قصيدة (صرخة في عنق الزجاجة) بحيث كل من يقرأ هذه القصيدة يعيش أجواء الغربة النفسية القاتلة وسيحس بمعاناة الألم والحزن لدى الشاعر حيث يقول:

رفقاً بقلبٍ يشــب الثلج في ناري وامسح بدمعي من الأحزان آثاري
دعني غريباً وئدتُ الصبر من شفةٍ عادت رمـاداً ومل العزف قيثاري
خذني كئيباً تركتُ العشق من زمنٍ حتى التراب يملُّ اليــوم أخباري
مدينة الشعر يا ما فِيحت أدبا قـوافي الشعر ماتت بين أعشاري (الاسدي , 2013 :ص44)(Al-Asadi, 2013: p. 44)

يؤكد الشاعر في الأبيات السابقة أنه لم يعد بإمكان قلبه أن يتحمل النار المستعرة بداخله التي يشتعل فيها الثلج فيلجأ إلى البكاء ترويحا عن نفسه المنهكة بالأحزان والآلام ، ثم يتخذ الصمت طريقا فقيثارته تعبت من العزف والاحتراق مؤكدا على انه وان كان يبدو كئيبا لكنه ليس بائسا ولن يستسلم أبدا وإن كان بصيص الأمل ضعيفا.

.قصيدة (لافتة الشعر) :

يقول الشاعر صدام الاسدي في قصيدة (لافتة الشعر تقول) : وهو يتحدث عن اغترابه الجسدي والنفسي وإحساسه بالوحدة حتى إن الخوف يسيطر عليه ويتملك منه حيث انتشار الفوضى في البلاد ، حيث الموت على الطرقات ، لا يفرق بين الكبير والصغير ، وقد أشار دانييل جولدمان الى هذا المعنى في كتابه إلى أن العزلة المكانية والنفسية لها آثارها على الشخص حيث تجعله محطماً من الداخل حزيناً مرهقا من الخارج (جولدمان , 1995: ص 54)(Goldman, 1995: p. 54) :

يأكلني الخوف وحيداً ، افتح قلب الكلمات
اقنص طير الحلم من الخطب البائدة في عصر الطبالين

اسمعُ ناقوس الموت يرن على الطُرقات
يخطف هذا الطفل ويقتل هذا الشيخ لماذا لا تدري (الاسدي, 2013: ص185-184)(Al-Asadi, 2013: p. 184-185)

قصيدة (سواعد الأجراس المنهكة) :

يشكو الشاعر صدام صدام الاسدي من الوحدة والاغتراب فلا صديق ولا قريب له يشاركه محنتهُ ووحدتهُ وغربتهُ ، وهذا يُعد من أشد الشعور بالعزلة والوحدة والغربة والحزن حيث نراه يقول : في قصيدته (سواعد الأجراس المنهكة) :

كيف لي افتحُ باباً – غلقوا – لي ألف باب
اشتري الوحدة عمراً لا قريب وصحاب
أينه خبز القناعة ؟ بين أسفار السراب ؟؟
حين لملمتُ جراحي بعد صبر وانتظار --- أسفاً فات القطار ؟؟
وهنا فز السؤال --- كيف قد ضيعتُ عمري بالكتابة والقصيد
إنها خمسون عاما من أتى يوما وأدلى ما تريد ؟؟؟؟ (الاسدي , 2006 , ص482-483)(Al-Asadi, 2006, p. 482-483)

يُشير الشاعر إلى جراحاته وصراعاته متسائلا عن انتشار الحرام ولا أثر للحلال وعن سيطرة القوي على الضعيف الذين يعيشون في ظلام فيكفيهم ما بهم من فقر مدقع ، ومن آلام وأحزان وغربة وهو لا ينفك يكتب ويبين هذه الحلات والصفات في المجتمع فيقول الشاعر في قصيدة (لامية ألأسدي) :

سأترك لغواً كثيراً يُقال وعندي من الصبر بقيا سؤال
لماذا قد اعشوشبت غابتي وغطوا مدى نظرتي بالرمال
لماذا الحرام مشى منعماً وجفّ على الأرض سور الحلال
لماذا الصراعات لا تنتهي ويسفرُ فوق العيون القتال
لماذا القوي مشى قاهراً وفينا الفقير يشمّ الظلال) لامية الاسدي ،2016, ص123 (Lamiyat Al-Asadi, 2016, p. 123)

هذه التساؤلات التي يطرحها الشاعر لنا وهي كثيرة ومتنوعة ويفوح منها الجدل واضحا وقاصدا الكثير من المعاني حيث يريد الشاعر لها إجابات شافيه ترضيه فهي تعكس مدى الصراع الداخلي الذي يعانيه الشاعر فيلجأ إلى الهروب من هذا الواقع المرير ، الكئيب ، الحزين فألفاظ (السؤال ، الرمال ، الحلال ، القتال ، الظلال) كلها الفاظ جدلية مهمة .

كذلك عبر الشاعر عن اغترابه النفسي في وطنه الغالي العراق بقلب يعتصره الألم والقهر حتى أنه أزعج القمر فيقول في قصيدة (مواويل مخترقة بالمطر) :

دعني أُناغيك من قلبٍ بكى قهرا وعانق السهد حتى أزعج القمرا
أنت الحبيب ومالي قبله عشق أشب بالقلب نارا عنك لو بحرا
أفرش جراحك هذا القلب مركبة صاحت إليك فرشت العمر مقتدرا
من ذا سواك يفك القيد عن عنقي اذبح كما شئت إني كنت مبتشرا (الاسدي , 2005:ص 351)-Al-Asadi, 2005: p. 351)وفي الليل - إن طال أو قصر- تزيد أحزان الشاعر ودموعه لا تفارقه ويشعر أكثر باغترابه النفسي وإحساسه بالوحدة يؤرقه ، وهنا لا بد من الإشارة من القضايا التي آذت الشاعر وآلامته قضية الإمام الحسين وكربلاء وكل ما جرى عليه أساس الحزن والألم والغربة وهو حين يذكرها ينسى آلامه وكل ظلاماته فيقول في قصيدة (خيط الدخان) :

يا ليلتي لا تقصري وتطولي سِيان عندي دمعتي ومثولي
أدركتها سرقت حلاوة فرحتي وتكابرت في عشقها المعلولِ
يا بسمة الأمطار في صحرائنا فالغيمُ ينفضُ نزفتي وحمولي
وإذا أتى السبط الحُسين تجمعوا ويحيرُ بين فواحش و مغول

مدوا عليه سيوفهم يا ويحهم حقدوا عليه بهجمة ونصول
خدمت عروش الظالمين وحاربت ابن الرسول بسيفه المسلول
واليوم انظر للحُسين ضريحهُ في كربلا بترابه المخضولِ
اليوم أمسى كعبة طفنا بها ويزيد بين مزابل وغسول
كل الحياة بلا الحسين خرافة أين الثرى من دره المصقول؟؟؟
خمسون عاما لم يكن شعري له إلا بقايا من دم مهطول(الاسدي , 2013:ص71-74) (Al-Asadi, 2013: pp. 71-74)

ويقول الشاعر صدام الاسدي متأملا متى يأتي الفرج وراحة البال التي يبحث عنها في وحدته وحزنه وغربته وهذا ما يشير اليه في قصيدة (تأملات في زوايا الفراغ) :

وان الليالي التي حلبت عمرنا
ختمت في ضلوع الزوايا
وكم كنتُ وحدي عسيراً إذا
حلبتني خطوب الرجال
وها صرتُ وحدي بعير بني شيبان
أدرم في قهقهات الخيال
تهيأ إلى الموت قبل حلول خيوط الرجاء.(الاسدي, 2005:ص 633 – 634)

فالعمر ضاع وراح عند الشاعر صدام الاسدي والوحدة والعزلة والانطواء جعلت الشاعر يتهيأ إلى الموت الذي لابد منه والذي يرى فيه الشاعر راحته الأبدية من الغربة والحزن والوحدة التي يعيشها وهذه الحقيقة الواقعية المؤلمة التي لا بد منها .

4. الاغتراب ألزماني :

يعاني الشاعر صدام الاسدي من الاغتراب ألزماني داخل وطنه (العراق) ، مما ترتب عليه ضياع قيمة ومكانة الشاعر فعندما لا تجد من لا يشبهك فكريا وثقافيا فاعلم انك غريب وإن كنت في وطنك وبين أهلك وعشيرتك وحتى في بيتك.

تتمثل مشكلة الشاعر في اغترابه ألزماني في الإهمال وعدم تقديره لمكانته الشعرية من قبل الوطن والمجتمع الذي يعيش فيه حتى أنه يشعر وكأنه دُفن حيا آملا أن يأتي الزمان الذي يتحدث فيه الناس عن مكانته وقيمته ويخلد ذكراه ربما بعد موته.

يخاطب الشاعر صدام صدام الاسدي الزمن طالبا منه الصبر وترك المآسي والأحزان فيقول في قصيدته (محاجر الغسق) :

قفْ يا صديقي شامخاً
هل ندفن الماضي بلا أنين
ونترك المأساة والحنين
وترضع الصبر من السنين
قف يا صديقي ساكتاً
تنام عيناك بلا شكوى ولا وجع
قف يا صديقي هكذا
وحرر الروح من الجسد
قل لي متى ترتاح ؟؟؟
من سطوة الجلاد والسلاح ؟ (الاسدي ,2017 :ص 36-38)(Al-Asadi, 2005: p. 633-634)

يؤكد الشاعر في قصيدة (تداعيات الرمح) ، أن الزمان لا يتغير مثله كباقي الأزمنة فالسيف وإن كان غاضبا فهو لن يتحرك لنجدة المظلومين والمحاربين وهذه جدلية يستحضرها الشاعر لتثير الكثير من التساؤلات فيقول:

هذا زمان مثل كل الأزمنة
السيف فيه ساكت
الحق فيه غاضب
هذا زمان لن تقول الكلمة إلا
تعود بعدها ساقطة أو عفنة) الاسدي , 2013: ص 48-49)(Al-Asadi, 2005: p. 48-49)

يتحسر الشاعر صدام صدام الاسدي على الزمن الذي لا يرحم فيقول في قصيدة : (أطلقت حصاني لتلك الريح) قائلا :

آه من دورات الريح...؟
الزمن...؟
الزمن...؟
لا يُرحم ويهزّ
بأجراس النسيان

ويشبه الشاعر الزمن بالتنين متسائلا هل تحدث المعجزة ويتجدد الأمل من جديد ؟ يقول الشاعر صدام الاسدي :

ايظل الزمن التنين يقتطع افكارُنا؟
هل تغرى كهوف الصمت بالضجيج؟؟
هل تتحقق المعجزة ويتفتح البنفسج من جديد؟
وتنطلق المحبة من سجن النسيان؟) الاسدي , 2013: ص 193-194)(Al-Asadi, 2003: p. 193-194)

ثم يقول الشاعر في ذات القصيدة فيشبه الزمن بالضباب الذي يحجب الرؤية فيتضح الصراع النفسي وهو أقوى صراع يعانيه الشاعر نتيجة العزلة والوحدة والإحساس بالظلم فيقول:

هذا الزمن ضباب
نحنُ مازلنا نسير لكهف العلم
من حقك أن تعلم
لكن ما من حقك ان تعلم بالآمال؟
ما من حقك أن تلفظ كلمة حق
في وجه الدجال
تلك خيوط رداء الزمن ، بادت وافتر التمثال

بعد الاطلاع على الأعمال الشعرية للشاعر صدام صدام الاسدي لم نجد صعوبة في ملاحظة التنوع في الألفاظ وصياغة الكلمات والدقة في اختيار اللغة ، والصورة الشعرية الراقية ، وصورة الحزن والألم والوحدة التي يعاني منها الشاعر .

وسبب ذلك هو تنوع مصادر ثقافة الشاعر صدام صدام الاسدي فهو بالرغم من تخصصه الأكاديمي الذي يتمسك بالثقافة اللغوية الأصيلة تبدوا معالم تأثره بالتراث الأدبي الحديث واضحة وطاغية على أشعاره بشكل عام فمن يقرأ ويطلع على أعماله الشعرية يجد لغةً شعريةً أصيلةً ومتميزة وواقعية ولا وجود للخيال فيها ، لأن ذات الشاعر هي البارزة لنا .

لغة الشاعر ألأسدي صافية وعذبة وألفاظه سهلة الفهم فالأسدي قد عبر عن حالة الإحساس بالغربة والحزن والحرمان والوحدة والعزلة بألفاظ ولغة شعرية حزينة شرح من خلالها حجم معاناته التي نتجت من الصبر الطويل على كل ما ألم به من قهر الزمان فتارة نراه يبكي على وطنه وحسرته على ما مر به من خراب ودمار ونكبات فكثرت في شعره ألفاظ (غربة الروح، غربة البدن، الحزن، الوجع، كئيبا، غريبا، قسوة العيش، شجني، الدمع، الحضور، الغياب، الهروب، غريبة أبوابي)

وهذا إن دل فإنما يدل على حياة محتدمة بالإحساس بالغربة والاغتراب والحزن العميق والأسى والحرمان والإحساس بالوحدة والعزلة (قهد الاسدي , 2013: ص 65)، تعد الصورة الشعرية عنصراً مهماً من عناصر البناء الفني للقصيدة والصورة الشعرية، تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها. (الشمري , 2014: ص 161)، ونرى أن هذا العالم يستمد منه الفنان أجزاء صورته التي هي عبارة عن انطباعات في الذاكرة يتدخل الخيال في تكوينها وتركيبها بالصورة التي تروق له، وتشكل الصورة الشعرية مع النص الإبداعي كلا متكاملا والصورة الشعرية مزيج بين دلالة اللفظ وإيحاء المعنى، لذا فهي تحقق بذلك نموذجا أدبيا متكاملا يجمع (اللفظ، والمعنى) .

وفي نهاية هذا المبحث نشير إلى أن الغربة والاغتراب تجلت بوضوح في قصائد شاعرنا صدام صدام الاسدي فتتحول من مجرد إحساس يختلج بصدر الشاعر إلي حالةٍ عامةٍ يشاركها مع الجميع كنافذة زجاجية يطل الشاعر من خلفها ولعل هذه النافذة (التعبير عن الغربة والوحشة والحزن) وهي وسيلة الشاعر للتخفيف من حدة الشعور بالوحدة والغربة والحزن الذي يمر به فتكون تلك النافذة في الواقع بمثابة الهروب بين عالمين مختلفين ومتضادين تماماً .

العالم الأول خارج نافذة الشاعر تماماً ولا تمتُ لما يريده او يتمناه بصلة والعالم الثاني داخل تلك النافذة والقصيدة، فكأن الشاعر ألأسدي يراقب من خلف نافذته ما يدور في عالمه ووطنه ويعبر من خلال تلك النافذة وهذا الأسلوب يعبر به عن غربته ويتأمل عميقاً بالذات الحائرة في داخله هو.

فهذا التضاد البديع الذي خلقه الشاعر بين ألأسدي الذي يرغب في العيش في هذا العراق الأمن والمنعم والمترف والذي يتغنى وينشد ويتغزل بالأشجار والأنهار وطيبات العيش وبين الأخر(خارج النافذة) في أرض الواقع بين المذابح والجثث (كما عبر هو بنفسه في ديوانه) فهذا التضاد المبهر والبديع شكل لنا حواريات تطرح أسئلة وجدل كان يجب أن يجد لها وعنها جواباً، فلما لم يجد ذاك الجواب عن القضايا التي تؤرقه وتغوص عميقاً في داخله لتبين لنا علاقته بما حوله كالوطن والإنسان والكون والوجود والحب والموت والشوق والغياب والغربة والوحدة والمنفى .

المصادر العربية :

القرآن الكريم :

1- الاسدي , صدام فهد :المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2013 .
2- الخشرم , عبد الرزاق : الغربة في الشعر الجاهلي ، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا دمشق ، ط1 ، 1982م .
3- جولدمان , دانيال :الذكاء العاطفي ,ط1 ، ترجمة ليلى الجيالي ، مراجعة وتحقيق الدكتور محمد يونس ،1995 .
4- داغر , صادق : التشكيل الجمالي في شعر صدام الاسدي ، ط1 ، لبنان / بيروت ، 2013.
5- الشمري , حافظ محمد : الفكر في الشعر العربي الحديث، مركز كتاب الاكاديمي ، ط1 2014م . العراق
6- عبد النور , جبور : المعجم الأدبي 1/ 156 ، مفهوم الغبرة اصطلاحا ، دار العلم للنشر .
7- الازوردي , بن دريد : مهرة اللغة ، ، 119/3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
8- ابن منظور , لسان العرب ، المجل2 ، دار صادر للطباعة والنشر ، ط1، بيروت – لبنان 1990م .

الرسائل والاطاريح

1- إبراهيم , خليل صاحب : الغربة والحنين في الشعر العربي قبل الاسلام ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، 1988م .
2- الموسوي , خلدون كاظم :شعر قصي الشيخ عسكر ، دراسة موضوعية وفنية ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، 2009م .

References :

- **Holy Quran**

1. Al-Asadi, Saddam Fahd**: The complete poetic collection of the poet**, Dar and Maktabat Al-Basa'ir for printing, publishing, and distribution, Lebanon, Beirut, First Edition, 2013**.**

2. Al-Khashram, Abdul Razaq: **Exile in Pre-Islamic Poetry**, Dar Al-Adwa for printing, publishing, and distribution, Syria, Damascus, 1st edition, 1982.

3. Goldman, Daniel: **Emotional Intelligence**, 1st edition, translated by Layla Al-Jayali, revised and verified by Dr. Mohammed Younis, 1995.

4. Dagher, Saddam: **Aesthetic Formation in the Poetry of Saddam Hussein**, 1st edition, Lebanon / Beirut, 2013.

5. Al-Shammari , Hafiz Mohammed : **Thought in Modern Arabic Poetry**, Academic Book Center, 1st edition, 2014, Iraq.

6. Abdul-Nour, Jubour: The Literary Lexicon 1/156, **the concept of "ghubrah"** in terminology, Dar Al-Ilm for publishing.

7. Al-Azdi, Ibn Duraid: **The Language Mareh**, 3/119, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut - Lebanon.

8. Ibn Manzur: **Lisan Al-Arab**, Volume 2, Dar Sader for printing and publishing, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1990.

Messages and theses :

1- Ibrahim, Khalil Sahib: **Alienation and Longing in Pre-Islamic Arabic Poetry**, Master's thesis, University of Basra, College of Arts, 1988.

2- Al-Mousawi, Khaldoun Kazem: **The Poetry of Qais Al-Sheikh Asker**, An Objective and Artistic Study, University of Basra, College of Education for Human Sciences, 2009.